

فاطمة الزهراء (عليها السلام) سيدة نساء العالمين



أم أبيها: كانت ثمرة زواج العظيمين نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) مولودة عظيمة. وإذا كانت الآيات الكريمة قد حثت على زواج المؤمن بالمؤمنة والمؤمنة بالمؤمن، فلكي يكون الناتج المبارك ذرية صالحة مؤمنة. وما أحوج الأمة اليوم وفي كل يوم إلى زواج واقتران كهذا وإلى ذرية كهذه.

نشأت في بيت النبوة، ومنذ نعومة أظفارها اسهمت في بناء هذا الصرح النبوي الشامخ الذي سيبقى يطاول الدهور.

ورعت حامل الرسالة أباهما وهي بعد طفلة صغيرة لتعوضه على حنانين: حنان الأم الرؤوم وحنان الزوجة المخلصة، وكم هي حافلة بالمعاني الانسانية الخصلة والرحبة كلمته (صلى الله عليه وآله وسلم) في حقها «أم أبيها».

لقد اتسع صدر الصغيرة فاطمة (عليها السلام) حتى بات كصدر امه آمنة (رضي الله عنها) أول صدر ضم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفاضت أحضانها بالرحمة حتى احتوت نبي الرحمة. ولنا أن نتصور حجم الزخم العاطفي الذي يمكن أن تضخه الفتاة المؤمنة الصالحة في نفس أمها وأبيها وإخوتها وأخواتها.

إنّها يمكن أن تكون رافدا ثرا من روافد الحب والسعادة في وسط الأسرة، وواحة من واحات الانس والرحمة في حال رحيل أمها، وبهذا تكون قد اقتدت عمليا بالسيدة الزهراء (عليها السلام) في رعايتها لأبيها أو لأسرتها.

إن حبّ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) لفاطمة (عليها السلام) على أنّّه حبّ خاص وفريد لبنت خاصة وفريدة في إيمانها وعصمتها وجهادها وحسن تبعلها، إنّ لا أنّّه يرسم لنا الطريق الأمثل في التعامل

الأبوي مع البنات، تأسيساً به (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتعامل البنات مع آبائهن وأسرهن وذويهن تأسيساً بها (عليها السلام).

المسؤولية فردية: حبّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لبضعة الطاهرة (عليها السلام) عظيم، لكن ذلك لم يمنعه من أن يؤكد للمسلمين من خلالها أن موقع الأب الرسالي لا يغني عن مسؤولية ابنته أمام الرسالة.

يقول (صلى الله عليه وآله وسلم) مخاطباً عشيرته: «يا بني هاشم! اعملوا على مكانتكم فإنني لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف! لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبدالمطلب! لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية بنت عبدالمطلب! لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد! لا أغني عنك من الله شيئاً.»

إنّهم يطالبهم جميعاً – بمن فيهم أحبّ الناس إلى قلبه فاطمة – أن يعملوا على مكانتهم، وأن لا يركنوا إلى سيد الأنبياء فطاعته لا تغني عن طاعتهم، فالجميع مسؤولون أمام الله سبحانه وتعالى.

ومن هذا نستوحي أن ابنة المؤمن ليست بالضرورة مؤمنة ما لم تختط طريق الإيمان لنفسها، وأن ابنة المجاهد ليست بالتبعية مجاهدة ما لم ترسم هذا السبيل. ولقد عرفنا من خلال سيرة الزهراء (عليها السلام) كيف عملت على مكانتها فأمنت أفضل الإيمان وأكمّله، وجاهدت أفضل الجهاد وأصدقته، ولم تتكل على إيمان أبيها وجهاده في سبيل الله لتفقد – كما يفعل البعض – عن اكتساب المكارم وحيارة الفضائل وبلوغ المقام المحمود.